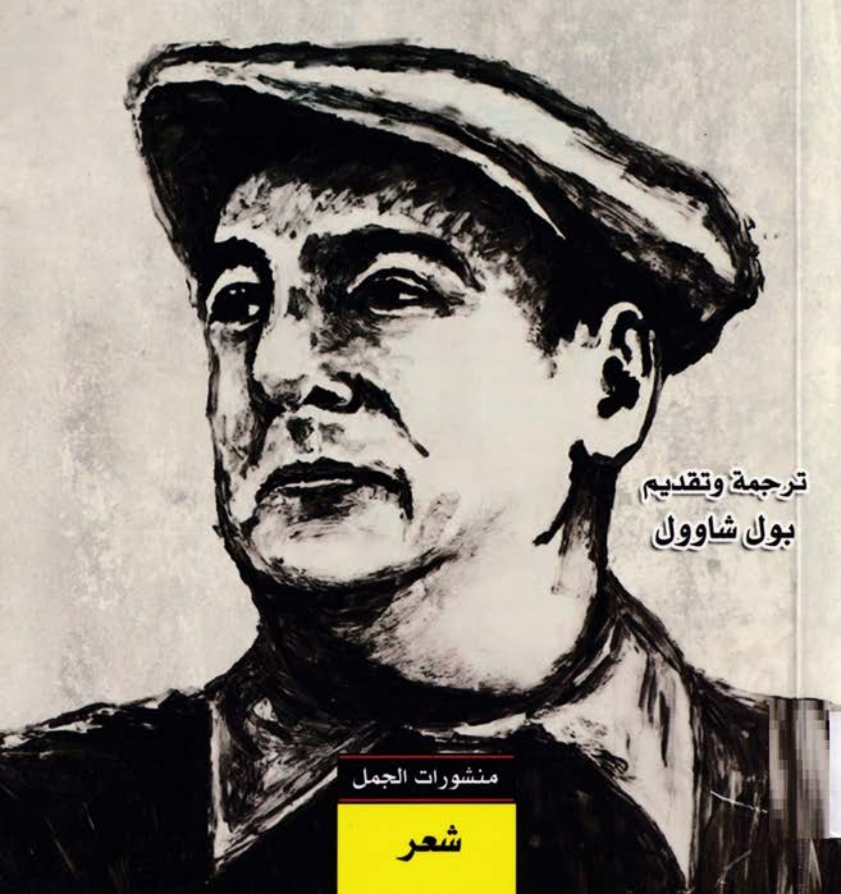
# بابلو نيرودا

## قصائد مختارة



ترجمة وتقديم
بول شاوول

منشورات الجمل

شعر

إلى كوكب زحل
الهزدان في علياته

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود
**telegram @soramnqraa**



# بابلو نيرودا

## قصائد مختارة

ترجمة وتقديم

**بول شاوول**

منشورات الجمل

**بابلو نيرودا، قصائد مختارة، الطبعة الأولى**
ترجمة وتقديم: بول شاوول

ص.ب: ٧٣١١١ - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة


Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

# مقدمة




بول شاوول

ما زال شعر بابلو نيرودا يحتفظ بقوّته ونضارته بعد زوال مختلف الظروف التي ساهمت في تغذيته وشحنه، فإنه يبدو الآن أكثر حضوراً مما كان في تلك المرحلة. ذلك أن الهالات السياسية التي كانت تغلف هذا الشعر وتحجب طاقته الهائلة وتقننه وتوجهه توجهاً «أحادياً» (أي توجهاً أيديولوجياً بالدرجة الأولى) عبر الأدوار التي لعبتها الأحزاب والتنظيمات السياسية، (لأهداف أحياناً دعائية) قد تبددت، لتترك الشعر وحيداً بحياته الخاصة. بقيمته النسبية. وهذا تحديداً ما شعرتُ به، وأنا أراجع دواوينه: من كتاباته الأولى في العشرينيات وحتى كتاباته الأخيرة في السبعينيات أي قبل وفاته، وما صدر بعد رحيله.

شعرتُ أولاً بأني اكتشفت حجم نيرودا الشعري. وهذا ما كان ليتم عبر قراءات متباعدة ومتفرقة لأعماله. ثانياً، شعرت بأن الأحزاب اليسارية العربية أساءت إلى هذا الرجل، عندما قدمته في صورته الطاغية «كمناضل سياسي»، وأغفلت ما تناءى من شعره عن سياساتها. ثالثاً، شعرت بأن قراءتي لهذا الشاعر الكبير قد

تحررت مما يجعلها تقع في أحكام مسبقة، والتي ورثناها من «الطليعيات» الشعرية، والنخبوية، واعتبار أن نيرودا «دون» هذه الملامح التجريبية والالتباسات اللغوية، والتشريحات في بنية اللغة وصولاً إلى القصيدة، التي عرفتها الحداثة الشعرية منذ بودلير حتى اليوم.

إذاً هنا تبدأ المغامرة : أن تقرأ عاري الذهن، نصاً، تريد أن تتوغل فيه، لا بحثاً عن أفكار ومواقف أيديولوجية وثورية وملتزمة، وإنما بحثاً عن طاقات هذه الشعرية وتعابيرها، وأسرارها، ومتونها، وفضاءاتها، وتراكيبها، ومنتوجاتها وكانت قراءاتي على مدى أكثر من شهر قمة المتعة. والسعادة. والحرية أيضاً. فأخيراً وجدنا الشاعر بعدما كان ضائعاً في متاهات ما «أغدق» عليه من شعارات وخانات. . . لكن كل هذا لا يعني وضع حدود بين الشاعر وقصيدته ومضامينها وأطرها الفكرية والسياسية.

على مدى قراءاتي لأعمال هذا الشاعر التشيلي الكبير وجدت أنه لم «يتخل» لحظة عن الغنائية. شاعر غنائي بامتياز: نقول هذا لأن هناك اتجاهات راهنة (كانت موجودة من قبل) تُنكر على الشعر أي غنائية أو عاطفية أو حتى رومانسية. ويمثل هذه الاتجاهات شعراء كبار في فرنسا مثلاً كبرنار نويل أو دنيس روس أو غينيك أو غرومون، أو شارل دوبزنسكي من دون أن ننسى أن جزءاً من إرث السوريالية القائم على التداعيات واقتباس الصور المجانية والهذر المجاني (التلقائي الآلي) واللاوعي السحيق ينفي طغيان الغنائية أو يختزلها أو يحوّلها في اتجاهات أخرى، من دون أن تغفل المنحى الصوفي الشرقي فيها.

الشاعر الغنائي نيرودا . . ينتمي في غنائيته هذه إلى سلالة ضاربة الجذور في أمريكا اللاتينية وفي أوروبا، منذ ردنار، ودوبيليه وحتى الرمزية (في بعض جوانبها) مروراً بالينبوع المتدفق: الرومانطيقية: من لامرتين إلى هولدرلين إلى كيتس وبايرون وويتمان وغوته ونوفاليس (شاعر الليل). موروث غني ومتنوع يختزن العاطفية المبسطة اختزانه الميتافيزيقيا والفلسفة والتأملية، إلى حدود الإدراكات الحدسية في اكتشاف العالم، وكذلك الإدراكات الذهنية والعقلانية.

لكن أين نيرودا من كل ذلك؟ أين غنائيته؟ لا نبالغ إذا قلنا إنه تأثر أو استوعب أو اغترف من كل هذه الغنائيات، فمن حالات «رومانسية» مبسطة وحميمة وخصوصية رافقته منذ بداياته وهو في العشرينيات، حتى آخر أيامه، إلى غنائية اختلطت فيها الأحاسيس والمناخات التي توجهها نحو الخارج. نحو الآخر. وهنا لا بد من أن نشير إلى أن نيرودا كماركسي، (أي كعقلاني)، واجه العالم بعاطفية واعية، مجمل التناقضات والأوضاع الإنسانية من ظروف الاستبداد، إلى واقع العمال والفلاحين، والشعوب المسحوقة، والظلم الاجتماعي والتاريخ المرتبط بالحاضر، والحاضر المفتوح على التواريخ، بفروعها الأسطورية والخرافية والحكائية والقصصية.

(تراث أمريكا اللاتينية ثري جداً بها).

هذا يعني أن نيرودا الغنائي هو شاعر الداخل. الداخل الذي يتدفق على الخارج. وشاعر الخارج الذي يمتزج في الداخل، العقلاني الذي ينظر إلى عقلانية حسية وعاطفية، ورومانسي يوظف

شغفه في فضاء أوسع من الذاتية وحدودها الضيقة (كما نرى عند لامرتين ودوموسيه ودو فيني)، من منطلق المغادرة الدائمة للذات إلى الآخر. فهذا (في غنائيته) شاعر الذات بقدر ما هو شاعر الآخر. أي أن غنائيته هذه، وإن راوحت في مجانية خصوصية (وإن مفتوحة)، تخرج إلى ما هو أرحب: إلى الشارع إلى المصانع، إلى السجون إلى المنافي، إلى الفقراء... إلى التفاوت الاجتماعي، والدكتاتورية، غنائية نقدية إذاً في بعض وجوهها.

## الحب

فهو أكثر شعراء أمريكا اللاتينية كتابة عن الحب. فمنذ بداياته: «عشرون قصيدة حب». إلى مراحله المتقدمة (مائة قصيدة حب). وقد عرف كيف يجمع بين البوحية (المباشرة)، وبين ربط هذا الحب «الشقي» الجارف المجنون بالأرض والطبيعة والناس وبالزمن أيضاً. وألاحظ هنا أن نيرودا في أبرز كتابين عن الحب «عشرون قصيدة حب» و«مائة قصيدة حب» يعود في نهاية العملين إلى نوع من الميلودراما، أو الأحرى الدرامية: خط بياني يبدأ باللحظات الباهرة، والعشق المتفتح، لينتهي إلى الفراق. تطوّر درامي عند نيرودا وكأنه، في عبره غير المباشرة، يجعل الزمن ينتصر.

لكن علينا أن نتبع هذه الغنائية الرقيقة والعنيفة والفاجعة في عشقه إلى ما هو أضخم وأوسع عندما تعانقا، وبأجواء خيالية وأسطورية عالية الملحمية لا سيما في «النشيد العمومي» (تحفته الكبرى)، أو «سيف اللهب»، حيث يمتزج الحس الخاص بالحس

التاريخي والأسطوري، لتتداخل فيها الخوارق والحكايات والأساطير والتواريخ في بنية متماسكة ومفتوحة. فهو في هذين الكتابين عرف كيف يعد الغنائية المتفجرة بالملحمية العالية ووصولاً إلى صفاء النشيد.

فغنائيته هنا تخترق المخيلة التاريخية والذاكرة الجماعية في لغة متماسكة، وموصولة يبني عمارتها حجراً حجراً، ونشيداً نشيداً، ومشهداً مشهداً، ولحظة لحظة. إنه الوعي الحاد بالتاريخ اكتسبه من انتمائه الأيديولوجي، وهو الوعي الحاد بالأسطورة اكتسبه من تراثه اللاتيني، وهو يمر بكيمياء العناصر اللغوية والصورية والإيقاعية اكتسب بعضها من ثقافته الأوروبية لا سيما الفرنسية (هذا ما فعله ماركيز وبورخيس).

هذه المناخات «الغرائبية» التي نقرأها في «النشيد العمومي» و«سيف اللهب» (متأثراً بهذا الأخير بحكاية التكوين بارودي للواقع)، هل تلتقي السوريالية التي تعمقها نيرودا. هل عناصر الصورة: جمع المتباعد، أو لمّ المتنافر، من إرث الدادائية أو السوريالية؟

علينا أن نعرف أن نيرودا التقى السوريالية وافترق عنها (كرينيه شار، وبريتير وأرطو وايلويار وحتى لوركا): أقصد أنه اختزن هذه اللعبة السوريالية القائمة على «المدهش. . .، والغرائبي، والصدمة في الصورة والتراكيب». هذا موجود في شعره: المزيج من الإبهار الغريب في تركيب الصورة نجده حتى في قصائده الأولى (صدرت في ثلاثة أجزاء)، وفي مجمل أعماله حتى في قصائده الغنائية «الصافية».

لكن علينا أيضاً أن نعرف أن نيرودا يبتعد بحكم تكوينه الأيديولوجي والنفسي عن المجانية. فالصورة المتداعية عند السورياليين مجانية. يسمها الغياب، أو الغيبوبة. ولا تذهب أبعد من ذاتها، أي أنها لا توظف في خدمة رؤيا يتخللها وعي «صارم» بالعالم.

الصورة السوريالية تلتقي مناخات الصوفية، والصوفية حواس متلاشية، أو ذائبة، أو نائمة، أو حالمة... عند نيرودا الصورة جزء من الصمد: الصوفيون «ذوو عيون مغلقة» يستنبطون بها العالم. عند نيرودا الصورة طالعة من «عين مفتوحة» على العالم. أي ذاهبة إلى وظيفة ومعنى وإيحاء وفكرة أي حقيقة ما. أي مغادرة لقيمتها «الإدهاشية» ومجانيتها.. يعني أن نيرودا استفاد وإلى حد كبير من «تقنيات» السورياليين، ليدرجها في رؤيا «نقدية.. للعالم. أو في نسيج متماسك للقصيدة (السورياليون رفضوا مبدأ القصيدة كبناء واعٍ في اتجاه أن الجمالية المشغولة بعيدة عنهم). لكن إذا كان نيرودا ترك ما ترك من السوريالية، وأخذ ما أخذ، فلأنه تأثر أيضاً بالرمزية (ألبير سامان، جان بول رو، هنري جيمس، بول فور، وصولاً إلى مالرمه وفاليري وصعوداً إلى بودلير وفرلين وحتى رامبو). أقصد أن نيرودا لعب لعبة الظاهر والباطن (وهي أيضاً عند الصوفيين)، الرمز والمرموز إليه. أي المجاز الذي يحبك عناصره حبكاً مشدوداً، أو حبكاً يستغل فيها مبدأ «الإيماء» بدلاً من التفسير المباشر، سواء عبر الصورة (رامبو)، أو الموسيقى (فرلين)، أو الاثنين معاً (فاليري).

لكن علينا أن نلاحظ ان علاقة نيرودا بالرمزية (كمدرسة)

كعلاقة بالسوريالية (كمدرسة أيضاً) وبالرومانطقية، علاقة تقاطع ومغادرة. فهو ابتعد عن الوقوع في التصنيفات. وفي الكاتدرائيات النظرية الصارمة. أي ابتعد عن تبني إحدى هذه المدارس كأبجدية مكتملة، ليستغلها كمفردات. ويكون بذلك قد تحرر من كل ربق أو جماعة أو لغة جاهزة. (كل المدارس تخضع لنظريات جاهزة أو جماعة أو جاهزة وهذا مقتلها).

نقول هذا من دون أن نغفل أن نيرودا الذي نأى بنفسه عن الارتباطات الجمالية المحددة، قد التزم الفكر الماركسي أو الشيوعي كمناضل وكحزبي حتى آخر أيامه. هل هو تنناقض؟ ربما! لكن علينا أن نعرف أن نيرودا بقي في مجمل نتاجه ذا التزام مفتوح. شيوعي متفتح. بلا علامات مفروضة ولا ارتباط مقنن، أي انتصر الشاعر على الأيديولوجيا. وعلينا أن نعرف أنه، عدا بعض شعره السياسي المباشر، كتب معظم شعره خارج هذه الالتزامات الأيديولوجية الضيّقة، سواء في «حجارة التشيلي» أو في «قصائد الحب»، أو في «سيف اللهب». . وهي أعمال مشرعة على الشرط الإنساني العمومي لكن عبر تواريخ وطنه تشيلي وأمريكا الاتينية. (هكذا كان لوركا وألبرتي بالنسبة إلى إسبانيا، وناظم حكمت بالنسبة إلى تركيا)، بل وعلينا أن نلاحظ أن نيرودا وظف كل العناصر والمدارس الجمالية في زمانه، في خدمة قصيدته الخاصة. أي قصيدته التي بقيت خارج التصنيف، ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أنه إذا كان نيرودا من أصحاب الضربات الجمالية العالية، وتلك الكيميائية الخصبة في صهر العناصر لصوغ قصيدة متماسكة، فإنه في المقابل بقي شاعر الضوء بامتياز. أي

شاعراً لم يلجأ وعلى امتداد مراحله (عدا مرحلة شبابه عندما انفعل بكثير من السوريالية أو الرمزية)، لا إلى الغموض، ولا إلى الالتباس (علماً بأن صورته بعناصره تؤدي إلى التباس مضيء. أو التباس بلا تعمية)، ولا إلى الصيغ الوعرة، ولا عتمة الداخل، ولا إلى التمارين اللغوية (كريمون كلينو وفيليب سوبو)، ولا إلى اجتراحات شكلانية، إنه كالديار شاعر البساطة (لا التبسيط)، ولوركا (وإن بدت السوريالية أكثر تأثيراً فيه)، وناظم حكمت ذي السلالة الصعبة. أي ذو سهولة مركبة. وهو بذلك ابتعد عن «ظلمة» الداخل عند فاليري، وانغلاقية مالرمه، وصوفية رامبو... ذلك أن الغموض، إذا كان موجوداً عند نيرودا، بالمواصفات (الرمزية أو السوريالية بناء على الإيحاء وتراكم العناصر)، فإنه غموض شفاف، غموض يضيء الداخل، والفكرة والموضوع. لا غموض طالعاً من تجريبية لغوية، أو تكسير متونه، أو تحطيم معانٍ أو طمس علامات، أي لا غموض تجريبياً متصلاً بفكرة منسبقة أو بقلق شكلي يريد تطبيقهما. فهو بعيد عن المختبرات، بُعده عن إرادة تسجيل أهداف «طليعية» مجردة. على صعيد التجربة الشعرية، أو تحقيق «بيانات» أيديولوجية ترتبط بجماعة أو بفرقة. فلنقل إن غموضه «ضوئي» لا معتم (وأنا لا أفاضل هنا). غموض العناصر الطبيعية والإنسانية في تبادليتها ضمن إطار جمالية ما. ونظن أن استغلال الأساطير والحكايات والتاريخ عند شاعرنا، ما هو إلّا سير أو تحليق في ظواهر غرائبية أو تخييلية تصب في نوع من الإدهاش قد يلتقي السوريالية لكن يفترق عنها. أقصد أن كل أسطورة هي «فعل مركب وإدهاشي في ذاته ينفتح على مجمل

الظواهر «العجيبة» و«الغريبة» لأنه يتجاوز الحسابات «العقلانية»، إلى ما هو مقدّس، أي إلى ما هو فوق عقلاني. هذه هي طبيعة الحكاية. أو الأسطورة. هذه الجماليات الغامضة بمثابة جسور إلى الآخرة، لا فجوات ولا جدران، ذلك أن نيرودا هو شاعر الذات وشاعر الآخر بامتياز.

ولكن هل هذا يعني أننا يمكن إدراج نيرودا ضمن لائحة الشعراء الشعبيين؟ (أو الشعبويين كما هي حال كثير من شعراء الأيديولوجيا والأحزاب؟). هذه النقطة حساسة جداً. وملتبسة. ذلك أن نيرودا، هو، أصلاً ذو انعطافات شعبية بطبيعة تركيبه وتوجهاته ومفهومه لدور الشاعر والمثقف، لكن هذه الانعطافات «الفكرية» قد لا تتحقق في ميدانه القصيدة النيروداوية بالشكل الكامل. صحيح أن لديه كثيراً من القصائد «المناسبة» صاغها لأهداف آنية كأن يوزعها أو يلقيها في تجمعات عمالية أو ثقافية أو حتى جماهيرية ثم تنطوي بانطواء المناسبة، لكن الأصح أن نيرودا ليس شاعراً شعبياً بالمفهوم الاستهلاكي أو السياسي أو الآني. فشعره يحتاج إلى تأمل. وإلى درجة ما من الثقافة، والوعي الجمالي، والتلقي الإيجابي (النقدي) أي أنه شاعر تهيأ ليُقرأ في كتاب. لا ليسمع في مهرجان. حتى قراءته تحتاج إلى جهد قد لا يقوم به سوى «النخب» (مع أنه يعارض مفهوم النخبة). فقصائد مثل «النشيد العمومي» أو «السيف الملتهب»، أو «يوميات الإقامة». أو حتى حجارة التشيلي، هي قصائد ذات بُنى مرتبة. أي قصائد كتبت ضمن مشاريع كتب. وهنا نصل إلى نقطة هامة: قلما كتب نيرودا قصائد متفرقة، كانت كل قصيدة عنده (أو

معظمها) مشروع كتاب مؤلف بدأب وصبر وبهواجس فنية عالية. معظم قصائده طويلة. تمشي في الزمن (على عكس رينيه شار مثلاً الذي لم يكتب سوى قصائد قصيرة باستثناء «أوراق هيبنوز»). ويعني ذلك أن هاجس «الكتاب» كتجربة متكاملة كان يسكن بال نيرودا. هذه الناحية، وارتباطاً بقصيدته المركبة لا المبسطة، تعني القارئ «المبدع» الجلود، والمكتشف والمتفاعل (لا المنفعل فقط). أكثر مما تعني القارئ الجوال، أو الهتاف أو العابر.

إنه عام نيرودا في وطنه تشيلي وفي العالم كله. عام شاعر كبير. وحالم كبير، وتراجيدي كبير، استخلص في شعره عصارة قارة كاملة، بكل تواريخها، وأساطيرها، وأحلامها، وأفكارها، ونضالاتها، وديكتاتورييها، وسجونها، ومنافيها، شاعر القارة بل هو الشاعر القارة.

# مختارات من شعره

# غسق

## FAREE WELL

أحب حبّ المراكب:
بضع قبل ثم تمضي
تترك تلك وعوداً
لكنها لا تعود أبداً
امرأة تنتظر في كل مرفأ،
البحارة يقبلون ويمضون
ذات مساء ينامون مع الموت
بأسره في زرقة المحيط

* * *

أحب الحب الذي يتقاسم بالقبل، في السرير والخبز.
حب يمكن أن يكون أبدياً
وربما أيضاً عابراً.
حب يريد أن يتحرر
ليعاود الحب من جديد.
حب كإله يقترب
حب، كإله يمضي.

## غسق ماروري

المساء على السطوح
يهبط
يهبط...
من أعطاه لكي يأتي
جناحي عصفور؟
وهذا الصمت الذي يملأ
كل شيء،
من أي بلد كوكبي
جاء وحده
ولماذا هذا الضباب أيضاً
- ريشة صغيرة مرتعشة -
قبلته المطر
- المحسوسة -
هل سقطت في الصمت
- وإلى الأبد - كل حياتي

# الريح

الريح تمشطني، يدها تمر
أمومية، على شعري.
للذكرى أفتح الباب
وفكرتي تخرج وتمضي.
إنها أصوات أخرى أحملها
غنائي من شفاه أخرى
لمغارة تذكاراتي
- ضوء غريب!
ثمار أراضٍ غريبة،
أمواج زرق من بحر آخر،
عشق آخرين، أحزان
لا أجرؤ على تذكرها.
والريح الريح التي تمشطني،
على شعري يد أمومية!
حقيقتي أكملها القمة

ليس لي لا عتمة ولا حقيقة!
نائماً وسط الطريق،
يجب دعسي لأمشي.
قلوبهم تطأني، قلوبهم
السكرى بالخمر والحلم.
جسر جامد، أصل
قلبك بالأبدية.
إن متُّ فجأة
فلن أكفّ عن الغناء!

# عشرون قصيدة حب

# I

إنه الصباح المليء بالعاصفة
في قلب الصيف.
مناديل بيض للوداع، الغيوم تجنح
والريح يدفعها بيديه المسافرتين.
قلب الريح لا يحصى، ويخبط
حبنا الصامت.
أوركسترالي وإلهي، يهمهم في الشجر
كلغة مفعمة بالحروب والأناشيد.
الريح لص سريع يخطف الشجر
ويحرف سهمه الهادر للطيور
يقلبها في موجة بلا زبد
مادة أصبحت بلا وزن، نيران تنحني.
إناء قبل غارق ومكسور
يهزمه للتو ريح الصيف عند الباب

## II

إنها النحلة البيضاء، السكرى بالعسل، التي
تطن في نفسي، تنكسرين في لوالب بطئية
من الدخان.
أنا اليائس، الكلمة بلا صدى.
الذي حصل على كل شيء وفقد كل شيء.
الملجأ الأخير، فيك يحطم قلقي الأخير.
أنت في صحرائي الوردة الأخيرة.
آه! أيتها الصامتة!
اغمضي عينيك العميقتين. فالليل يجنح فيهما.
آه! عري جسدك من التمثال الخائن.
تمتلكين عينين عميقتين تصطفق فيهما أجنحة الليل.
وأذرع طرية للزهر وحضن ورد.
ونهدين شبيهين ببزقات بيضاء.
فراشة ليلية تحط على بطنك.
آه! أيتها الصامتة!

ها هي الوحدة وأنت غائبة عنها .
تمطر. ريح البحر يطرد بجعاً تائهاً .
الماء يمشي بخطى غارية في الدروب المبللة.
وورقة الشجرة تئن كمريض. .
أيتها النحلة البيضاء، الغائبة، في همهماتك تدم.
تنبعثين في الزمن، نحيلة وصامتة!
آه، أيتها الصامتة.

## III

فقدنا مرة أخرى هذا الغسق. .
ولا أحد رآنا متشابكي الأيدي
بينما كانت القمة الزرقاء تهبط على العالم.
رأيت من نافذتي
عيد المغيب على الهضاب البعيدة.
أحياناً، وكميدالية
تشتعل قطعة شمس في يدي.
وأتذكرك وقلبي منقبض
حزين من الحزن الذي تعرفينه فيّ.
أين كنت إذاً؟
وبين أي أناس؟
أي كلمات كنت تلفظين؟
لماذا يمكن أن يأتيني كل هذا الحب دفعة واحدة
عندما أحس نفسي حزيناً وأعرفك بعيدة؟
سقط الكتاب الذي كنا نأخذه إلى الغسق،

معطفي، قلب جريح، تدحرج عند قدمي.
تبتعدين دائماً، ودائماً في المساء
فإلى أين يسرع الليل ماحياً التماثيل؟

# IV

قلبي يكفيه صدرك،
أجنحتي لحريتك
من فمي يدرك السماء
كل ما كان يرقد في نفسك.
فيك الوهم اليومي.
تأتيني، ندى على التويجات
غائبة وتحفرين الأفق
تهربين، موجة أبدية.
وقلتها: تغنين في الريح
كالصنوبر وأشرعة السفن.
أنت مثلها عالية ومثلها صامتة.
تكتئبين فجأة، كما يكتئب سفر.
مضيافة، مثل درب قديم.
أصداء وأصوات حنينية تسكنك.
عند يقظتي أحياناً تهاجر وتمضي
طيور نامت في نفسك.

## V

أيتها الصبية السمراء، الصبية الرشيقة، الشمس التي
تصنع الثمر،
التي تثقل القمح وتعذب المحار،
صنعت جسدك الفرح وعينيك المضيئتين
وفمك الذي من بسمة الماء.
سوداء، قلقة التقت شمسي بخيوط
عُرفك الأسود، وأنيت تشدين الذراعين.
وتلاعبينها كما تلاعبين نهداً،
الذي يخلف في عينيك ماءين قاتمين راكدين.
أيها الصبية، الصبية الرشيقة، لا شيء يقربني منك.
كل شيء يبتعد عنك، كما في ظهيرة مكتملة.
لكِ طفولة النحلة الهاذية،
قوة السنبلة، ثمالة الموجة.
مع هذا فقلبي القاتم يبحث عنك،
أحب جسدك الحبور وصوتك الحر والنحيل.
آه، يا فراشتي السمراء، عذبة وحاسمة.
أنت قمح وشمس وماء وخشخاش.

# VI

يمكنني أن أكتب أحزن الأبيات هذه الليلة.
أكتب مثلاً: «الليل مزدان بالنجوم وكواكب
الأثير ترتعش في البعيد».
ريح الليل يدور في السماء ويغني:
يمكنني أن أكتب أحزن الأبيات هذه الليلة.
كنت أحبها، وأحياناً هي أحبتني أيضاً.
في الليالي وكهذه الليلة كانت في أحضاني.
كنت أحضنها مرات كثيرة تحت السماء، السماء اللامتناهية..
أحبتني، وأحياناً أنا أحببتها أيضاً.
وكيف لا تُحب عيناها الواسعتان، عيناها
الواسعتان الثابتتان.
يمكنني أن أكتب أحزن الأبيات هذه الليلة.
أفكر بأنها لم تعد لديّ. آسف لأني فقدتها.

# البحر والأجراس

# اليوم كم من الساعات

اليوم كم من الساعات تسقط، تسقط
في البئر، في القفة، في الزمن:
بطيئة لكن ترتاح
تسقط، متجمعة
في البداية كالأسماك
ثم كحجارة مقذوفة أو كزجاجات.
في الأسفل، الساعات
مع الأيام تتفاهم
مع الأشهر
مع الذكريات المدخنة
مع الليالي المقفرة
مع النساء، الملابس، القطارات والأرياف،
الزمن
يتراكم، وفي كل ساعة
يذوب بصمت

يتقطع ويهوي
في الأَسيد ذي الآثار
في المياه السوداء
في الليل المقلوب.

# أغنية حزينة مضجرة

الليلة كلها أمضيت حياتي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا أبقاراً
لا ليرات استرليني
لا فرنكات
لا دولارات
لا، لا، لا شيء من هذا.

الحياة كلها أمضيت ليلي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا هررة
لا سيارات
لا علاقات
لا.

الحياة كلها أمضيت فجري
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا كتباً
لا طلاباً
لا أرقاماً
لا.

القمر كله أمضيت ليلي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا أسرة
لا قُبلاً
لا خطيبات
لا.

الليل كله أمضيت أمواجي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا أسناناً
لا قناني
لا كؤوساً.
لا.

الحرب كلّها أمضيت سلمي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا موتى
لا أزهاراً
لا.

المطر كله أمضيت أرضي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا طرقات
لا أغنيات
لا.

الأرض كلها أمضيت ظلي
أحسب، لكن في حساباتي
لم أكن أعدّ لا تجاعيد
لا شَعراً
لا أشياء ضائعة
لا.

الموت كله أمضيت حياتي
أحسب:
هل خسرت؟
هل ربحت؟
لا أعرف شيئاً، والأرض
أيضاً.

# الفن غير المرئي

نمشي نمضي ونغني، ونغني الأغاني
لاتي تملأ قلوبنا حباً ونشوة،
وهذه الشكوك المرة التي نحملها فيها
تحت جلبتها الحبورة تحرك أجنحتها.
نمشي نمشي متعطشين للأوهام،
ووجوهنا تصرخ بالحزن والتعب
ومع هذا نغني: بعيداً في الغابة
نجد الينبوع المنعش المنشود.
نصل متعبين، نحني جباهنا
وشفاهنا الملتهبة، الناشفة والمجعدة
تشرب وهي ترتعش من العطش والانفعال
عندها، بهدوء المياه الهادئة
ترى الضوء ينبعث في بؤبؤنا
وينبعث عطش الأوهام من قلوبنا.

# سأشرح لكم

سأشرح لكم: عندما كنت أعيش في المدينة،
كان شارعي يحمل اسم كابتن
وكان لهذا الشارع جموعه،
حانات الشرب، أسواق بيع الأحذية
محاله المليئة بالمجوهرات.
ما كان يمكن التجول
من شدة ما كان الناس عجولين،
الناس الذين يأكلون، يبصقون،
يتنفسون،
يشترون ويبيعون ملابس.
كل شيء كان يبدو لي مضيئاً،
كل شيء كان يلتهب
ولم يكن سوى رنين
كأن من أجل إبهارنا أو إدهاشنا
مضى زمان ولم أسمع شيئاً عن

هذا الشارع، نعم زمان طويل طويل
غيرت أسلوب حياتي، أعيش بين الحجارة
والمياه المتحركة.
الشارع الذي أتكلم عنه قد يكون مات
ميتة طبيعية.

# البحر هنا؟

البحر هنا، حسناً فليدخل.
أحضروا لي الجرس، من النوع الأخضر.
هذا، لا، الآخر، الذي فمه من
النحاس المغلول،
وهذا كل شيء الآن، دعوني وحدي
مع البحر الأساسي، مع الجرس.
أريد الامتناع عن الكلام مدة طويلة،
أريد، أيها الصّمت، أن أتكلّم أكثر،
أريد أن أعرف، نعم، إذا كنت موجوداً

# حديقة الشتاء

# الزوايا

ثلاث زوايا من الطيور عبرت
السماء على المحيط الضخم
المتمدد في الشتاء كحيوان أخضر.
كل شيء جمود موت، الصمت،
الانتشار الرمادي، الضوء الثقيل.
للفضاء، الأرض العاطلة.
فوق كل شيء عبر
طيران
ثم طيران آخر
لطيور سُود، لأجسام شتائية، زوايا مرتعشة بالكاد
تنبض
ناقلة من مكان إلى آخر
على سواحل تشيلي
البرد الرمادي، الأيام الآسفة.
أنا هنا بينما ارتعاش

الطيور المهاجرة المنزلقة من سماء إلى سماء
تتركني غارقاً في ذاتي وفي مادتي
كما في بئر من الأبدية
محفورة بلولب جامد.
اختفت الآن:
الرياش السود للبحر،
الطيور المعدنية
للصخور والموج والعواصف
الآن، ظهراً
ها أنا إزاء الفراغ: إنه خفاء
الشتاء المنتشر
والبحر وضع
على وجهه الأزرق
قناعاً من المرارة.

# كتاب الأسئلة

# I

إذا كنت متّ من دون أن أعرف

فمن سأسأل عن الوقت؟

أي إذا في فرنسا، يستنفد

الربيع كثيراً وكثيراً من الأوراق؟

حيث يستطيع أعمى أن يعيش

يطارده طيران النحل؟

إذا اختفى الأصغر يوماً ما

فبم سنصنع الخبز؟

## II

ماذا تخبئ هنا تحت حدبتك؟
قال الجمل للسلحفاة.
أجابته السلحفاة:
وأنت ماذا تقول لأشجار البرتقال؟
أيكون لشجرة الإجاص من الأوراق
أكثر من «بحثاً عن الزمن الضائع؟»
لماذا إذن تحس الأوراق
باصفرارها تنتحر؟

## III

سلام الحماقة أهو سلام؟

أيضع الفهد الحرب؟

لماذا يدرس المعلم

جغرافية الموت؟

ماذا يحدث للسنونوات

التي تعد متأخرة إلى المدرسة؟

أصحيح أنها توزع عبر السماء

رسائل شفافة؟

# IV

هل أدركت كم يشبه
الخريف بقرة صفراء؟
وكيف أن الحيوان الخريفي
يصبح بعدها هيكلاً عظمياً قاتماً؟
وكيف أن الشتاء يكدس
أكثر فأكثر زرقات أفقية؟
من سأل الربيع
شفافيته الملكية؟

## V

من أسأل ما
جئت أفعل في هذا العالم؟
لماذا أتحرّك بالرغم مني
لماذا أستطيع أن أكون جامداً!
لماذا أجري هكذا بلا طرق
وأطير بلا أجنحة ولا ريش؟
ومن دفعني إلى المكان الآخر
إذا كانت عظامي تعيش في تشيلي؟
عندما تنام على سريرها الملتهب؟
الأرض هل تغني كجدجد
في الجوقة السموية
الحزن أهو بهذا الاتساع،
بهذا التماسك، الكآبة؟

## VI

ولماذا تكون الشمس صديقاً بهذا السدى
لمسافر الصحراء؟
ولماذا الشمس لطيفة
في حديقة المستشفى؟
أعصافير أم أسماكاً يحفظ
القمر في شباكه؟
لا هنا ضيعوني لكي
أكفّ عن إيجاد نفسي؟

## VII

وفي الفضائل، المنسية، هل يمكنني

أن أخيط بدلة جديدة؟

لماذا تذهب أجمل الأنهار

لتجري في فرنسا؟

لماذا لا يحطّ ليل

غيفارا في فجر بوليفيا؟

هناك، قلبه المغتال، هل

يبحث عن مغتاليه؟

وعنب المنفى الأسود

أوليس فيه أولاً طعم الدمع؟

## VIII

ألا تُحسّ إيفا الخطر

في ضحكة البحر المجنونة؟

ألا ترى في حرير الخشخاش

المفرح، تهديداً؟

ألا ترى أن شجرة التفاح

تزهر لتموت في التفاحة؟

ألا تبكي، بين الضحكات،

قرب زجاجات النسيان؟

## IX

من كانت تلك التي كانت تحبّك
في الأحلام، عندما كنت نائماً؟

أين تمضي أشياء أحلامنا؟
أفي أحلام الغير؟

الأب الذي يعيش في أحلامك
أيموت بمجرد أن تستيقظ؟

ونباتاتها أتزهر؟
وثمارها الرحيبة أتنضج؟

## X

ما الذي مر يهتز في الليل؟
الناس؟ سنابك الخيل؟

أعليَّ أن أختار هذا الصباح.
بين البحر والسماء؟

ولم السماء، إذا كان الصبح
قد اكتسى بضبابه؟

من كان ينتظرني في «الجزيرة السوداء»؟
الحقيقة الخضراء أم الإطار؟

## XI

لماذا ولدتُ بلا سرّ؟
لماذا كبرت هكذا وحدي؟

من طلب مني أن أحطم
أبواب كبريائي؟

من خرج ليعيش مكاني
عندما كنت أنام أو ألزم الفراش؟

أي راية ارتفعت هنا
حيث لم أنس؟

## XII

الملح والسّكَّر هل يعملان
على بناء برج أبيض؟

أصحيح أن الأحلام في المنملة
مفروضة؟

هل تعرف أي تأملات
تحرك الأرض في الخريف؟

لمَ تمنح ميدالية
لأول ورقة ذهبية؟

# XIII

هل أحصي الذهبُ الذي يملكه

أرض الذرة؟

هل قيل لك إن الضباب أخضر

في الظهيرة في باتاغوني؟

من غنى هنا، في عمق الماء

في البحيرة المهملة؟

لمَ تضحك، البطيخة

لحظة اغتيالها؟

## XIV

الأربعة هل هو الأربعة لكل واحد؟
وكل سبعة هل هو معادل للآخر؟

عندما يفكر سجين في النهار
أهو الذي يضيئك؟

هل حلمت باللون
الذي يكتسبه نيسان بالنسبة إلى المرض؟

أي مملكة للغرب
رفع راية من رايات شقائق النعمان؟

## XV

داريو وهو يؤلف كتابه
ألم يكن أخضر؟

رامبو ألم يكن قرمزياً
وغونغورا، بلون البنفسج؟

وفكتور صغير متعدد اللون؟
وأنا من الأصفر المقلَّم؟

أترى تجتمع ذكريات كل
فقراء القرية؟

وفي صندوق معدني
هل رتَّب الغني أحلامه؟

## XVI

وهل هناك أغبى في الحياة من أن يكون
اسمك بابلو نيرودا؟

من، في سماء كولومبيا،
يجمع الغيوم؟

لماذا تُختار لندن دائماً
لمؤتمرات المظلات؟

أكان دم ملكة سبأ
أرجوانياً؟

أكانت الدموع التي يذرفها بودلير
عندما يبكي سوداء؟

## XVII

حياتنا أليست نَفَقاً
بين ضوءين غير واضحين؟

أو تكون ضوءاً
بين زاويتين مظلمتين؟

أم أن الحياة سمكة
مهيأة لأن تكون عصفوراً؟

والموت، أهو في ألا يكون،
أو يكون، أجساماً خطرة؟

# XVIII

وهل سنرى من رمادك يولد
تشيكيون أو سلاحف بحرية؟

هل تقبل القرنفل
بشفاه مستقبلية؟

ولكن هل تعرف من أين يأتي الموت:
أمن فوق؟ أم من تحت؟

أمِن الجدران أم من الجرائْم؟
أم من الشتاء أم من الحروب؟

# XIX

قطرة الزئبق الحية
تجري: نحو الأسفل! أم نحو الدوام!

وشعري المفلس
أتكون له عيناي ليرى؟

هل سأحفظ رائحة وألماً
عندما، محطماً، أنام؟

## XX

بأي أشغال شاقة حكم
على هتلر في الجحيم؟

بأن يدهن الحيطان أم الجثث؟
بأن يتنفس غاز موتاه؟

بأن يطعم رماد
كثير من الأطفال المُفحَّمين؟

أم بتجريعه، منذ مماته،
الدم بالقمع؟

أم بدقّ الأضراس الذهب
التي اقتلعها، في فمه؟

## XXI

إذا كانت كل الأنهار من مياه عذبة
فمن أين يأخذ البحر ملحه؟

كيف تعرف الفصول أن عليها
أن تغير قميصها؟

لماذا، الفصول، بهذا البطء الشديد شتاءً
وبعدها، بهذه الحيوية الشديدة!

ما الذي يجعل الجذور تعرف
أن عليها أن تصعد نحو الضوء؟

ومن ثمَّ أن تُحيّي الريح
بكل هذه الزهور وهذه النبرات؟

أتراه الربيع ذاته يكرر
دوماً دوره؟

# XXII

لماذا يبقى في الأغصان
حتى تسقط الأوراق؟

وأين يبقى بنطلونه
الأصفر معلقاً!

أليس لأن الخريف يبدو
كأنه ينتظر حدثاً؟

ربما رعشة ورقة
أو أهو تحول العالم؟

أهناك جاذبية شقيقة الخريف؟

ومتى تقرر تحت التراب
تعيين الوردة!

# مئة قصيدة حب

# I

أيتها المرآة الكلية: تفاحة اللمم، نار القمر
عطر المحار الكثيف، قطعة ضوء مطروقة،
أي ضوء معتم ينفتح بين عموديك؟
وأي ليل عتيق يلامس حواس الإنسان؟
الحب سفر، بكل أسف! من الماء والنجوم،
من الهواء المختنق، من عاصفة طحين مفاجئة:
الحب سفر ومعركة من البروق
وجسدان ضللهما عسل واحد.
أعبر بالقبل لامتناصيك الصغير
أنهارك، ضفافك ذات القرى الصغيرة
والنار الحسية وقد تحولت متعاً
ها هي تجري بدروب ضيقة من الدم
لتسرع كقرنفلة ليلية
وتصبح في الليل مجرد شعاع.

## II

أنا لا أحبك كوردة من ملح

الزبرجد.. قرنفل نشاب ينشر النار:

كما نحب بعض الأشياء الغامضة

إنما بين الظل والنفس، سراً أحبك.

أحبك كالنبتة التي لا تزهر

التي تحمل في ذاتها، خبيئاً، ضوء هذه الأزهار،

وبفضل حبك يعيش غامضاً في جسمي

العطر المهموم الذي يفوح من الأرض.

أحبك ولا أعرف كيف ولا متى ولا أين،

أحبك بلا مواربة، بلا كبرياء، بلا مشاكل:

أحبك هكذا، ولا أعرف طريقة أخرى للحب،

أحبك هكذا، بدون أن أكون، بدون أن تكوني،

قريباً لدرجة أن يديك على صدري هي يدي

وقريباً لدرجة أن عينيك

تغمضان حين أنام.

## III

فلينثر كل الحب فيَّ فمه،
فلا أعاني بعد الآن لحظة ربيع
لم أبع للألم سوى يديّ
الآن، يا حبيبتي، وقد تبقّت لي قبلاتك.
غطّي بعطرك ضوء الشهد المفتوح
الأبواب، غطيها بشعرك،
أما بالنسبة إلي فلا تنسي: إذا أفقت وبكيت
فيعني وأنا نائم لست سوى طفل تائه
يبحث عن يديك في أوراق الليل
واحتكاك القمح الذي تصلينني به،
نشوة لامعة وعتمة وقوة
آه يا حبيبتي، لا شيء سوى العتمة،
عتمة ترافقينني بها في أحلامك
وهناك تقولين لي وقت الضوء.

## IV

أحبي، قبل أن أحبك لم يكن عندي شيء:
كنتُ أتردد عبر الأشياء والشوارع
لا شيء كان يتكلم من أجل أجلي لا شيء. كان له اسم:
كان العالم ينتمي إلى انتظار الهواء.
عرفت عندها الصالونات بلون الرماد
عرفت أنفاقاً مسكونة من القمر
والمستودعات القاسية حيث كنا نأخذ عطلة،
وعلى الرمل إلحاح الأسئلة.
كل شيء كان فراغاً، وموتاً وصمتاً،
سقوطاً في الإهمال وكل شيء كان نهاراً
وبطريقة غير مستلبة كان كل شيء مستلباً،
كل شيء كان ينتمي إلى الآخرين وإلى أي شخص
إلى أن منح جمالك وفقرك
هذه الصدقة المليئة بالهدايا.

## V

ببساطة يدك ها أنت عارية:
ملساء أرضية دقيقة ومستدرة وشفافة،
تلك خطوط القمر، دروب التفاح،
عارية تماماً أنت رفيعة كالقمح العاري،
عارية تماماً أنت زرقاء، من زرقة الليل في كوبا،
النجمة في شعرك تمتزج باللبلاب
عارية تماماً أنت صفراء وضخمة
كأنما صيف في كنيسة من ذهب.
عارية فها أنت صغيرة كأحد أظافرك
منحنية، وردية، دقيقة حتى بزوغ الفجر
الذي سيراك تعودين إلى باطن العالم
كما في نفق طويل من الأشغال ومن الأزياء:
وينطفئ ضوؤك ويرتدي ملبسه ويتناثر
ويصبح من جديد يداً عارية تماماً.

## VI

حبيبتي، من حبة إلى حبة، من كوكب إلى كوكب،
إنها شبكة الريح وبلادها القاتمة،
إنها الحرب تأتي بأحذيتها الدموية،
أو ها هو نهار السنبلة وليلها.
حيثما ذهبنا، أيتها الجزر، الجسور والرايات
قيثارات الشتاء (العابر) والمرهق
يضاعف الفرح الشفاء على الكأس
وبعبرة من البكاء، يجمدنا الألم.
الريح كل الجمهوريات

## VII

اعلمي أنني لا أحبك وأحبك
بما أن طريقة أن تكون الحياة مزدوجة
بما أن الكلمة جناح الصمت
وأنها في النار نصف برودة.
أنا أحبك لكي أبدأ بأن أحبك،
لكي أقدر على استئناف اللانهائي
ولكي وإلى الأبد لا أكف عن حبك:
ولهذا لا أحبك حتى الآن.
أحبك ولا أحبك، فهكذا
كان في يديّ مفاتيح السعادة
وعاثر الحظ، قدر غير واثق.
لحبي وجودان لأحبك
لهذا أحبك عندما لا أحبك
ولهذا أحبك عندما أحبك.

## VIII

يا حبي، يا شعاعاً مجنوناً، آه تهديد الأرجوان
تأتين لرؤيتي، متسلقة سلمك النضر
إلى القصر الذي توّجه الزمن بالغيوم،
يا قلبي المسجون في جدرانه الصفر.
لا أحد سيعرف أن العذوبة الوحيدة
صنعت شيئاً فشيئاً كريستالاً قاسياً كمدن،
إن الدم فتح أنفاقاً عاثرة
من دون أن تتجاوز إرث الشقاء.
لهذا، يا حبيبتي، فمك، جلدك
ضوؤك وأحزانك هي الإرث
الحي، عطايا الشتاء المقدسة والطبيعة
الذي يرفع استقباله وعود الأحبة،
عاصفة النبيذ السرية في الأقبية
الالتهاب الباطني للزرع.

## IX

العاشقان لا يصنعان سوى رغيف واحد،
قطرة قمر، واحدة، في العشب،
يخلّفان وهما يمشيان ظلين يتحدان
في السرير غيابهما شمس فارغة واحدة.
حقيقتهما الوحيدة تحمل اسم النهار:
ارتبطا بعطر وليس بخيوط
لم يمزقا السلام ولا الكلمات
وسعادتهما برج من الشفافية.
الهواء والنبيذ يرافقان العاشقين،
الليل يقدم لهما عطية من الأوراق السعيدة،
وإلى العاشقين يعود القرنفل.
العاشقان السعيدان لن يعرفا لا النهاية ولا الموت،
وغالباً ما يولدان ويموتان بقدر ما يعيشان
يمتلكان أبدية الطبيعة.

# X

نحن اليوم: أمس، بهدوء، سقط
بين أنامل من نهار وعينين من ندم
غداً سيأتي بمشيته الخضراء
ولا شيء يوقف نهر الفجر.
ولا شيء سيوقف نهر يديك
ولا كذلك النوم من عينيك يا حبيبتي،
أنت اهتزاز الساعات التي تنقضي
من الضوء الهاوي إلى شمس الظلال
وعليك فهي السماء تطوي جناحيها
وتدفئك وتحملك في ذراعيها
دقيقة، بمجاملتها السرية.
لذا أغني للنهار، للقمر
للبحر وللزمن، لكل المجرات،
لكلماتك المضيئة إنها لجسدك الليلي.

# XI

كوتابوس قال إن ضحكتك التي يسقطها
كما ينقض العقاب من أعلى الأبراج المفاجئة
تعبرين، وهذا صحيح، ورق العالم
بلحظة خاطفة مخترقة وقريبة للسماء
تسقط، وتقفز كحبات الندى،
مياه الماس، ضوء النحل
وهناك حيث الصمت يُسكن لحيته
رمان الشمس، النجوم، كل شيء ينفجر
مع السماء هو الليل الحالك يهبط،
وأجراس وقرنفل يشتعل ملء القمر،
في حين تجري خيول الراحلين:
أنا أعرف، أنت صغيرة جداً، ومع هذا
تمطر الضحكة منك كما من نيزك،
الطبيعة تحمل بك اسماً كهربائياً

# XII

عوسج، كؤوس محطمة، دموع وأمراض
تحاصر ليل نهار عسل السعادة،
ولا جدوى من البرج، السفر، الحيطان:
البؤس يدخل إليك، يا سلام النائمين،
موج الألم مقرباً ملعقته
ولا أحد يسلم من هذا التأرجح،
لا سقف، لا حائط، أي فصل من الوجود:
وها هي الصفة التي يجب تقلدها.
في الحب، لا تجدي العيون المغلقة نفعاً،
ولا الأسرّة العميقة، عندما ينتن الجرح،
حيث يجب خطوة الفوز براية.
الحياة دَبق، كوليرا أو نهر
وتفتح نفقاً دموياً حيث تراقبنا
عيون عائلة ضخمة من الآلام.

# XIII

الأمطار الغزيرة في الجنوب تمطر على ايسلانينغرا
كقطرة وحيدة وشفافة وثقيلة،
البحر يفتح أوراقه الباردة، ليستقبلها
الأرض تتعلم قدر الكأس المبلل.
آه، يا نفسي، على قُبلك أن تهبني
هذا الماء الأجاج، مع عسل البلاد،
المطر الذي بلّلته السماء ذات الألف شفة،
صبر البحر المقدس في الشتاء.
إنه نداء، الأبواب كلّها تفتح من تلقائها،
الماء يسرد قصة طويلة من الجلبة على النوافذ،
السماء تمضي إلى تحت، مدركة الجذور
النهار يعقد ويحلّ شبكته السموية،
المحبوكة من الزمن، الملح، الضوضاء، الحركة، الدروب
من امرأة ورجل، والشتاء على الأرض.

## XIV

ماتيلدا أين ثراك؟ ألم ألاحظ
بين الكرافات والقلب، في الأسفل، ونحو الأعلى
موجة كئيبة متخللة الأضلاع:
ذلك لأني فهمت فجأة غيابك.
ضوء حيويتك أفتقده
نظرت مفترساً الأمل،
المنزل وفراغه من دونك،
لم يبق سوى نوافذ تراجيدية،
صامت هو السقف، من كثرة ما يصغي
إلى أمطار قديمة تمطر، كما تسقط الأوراق،
الريش، وما يحفظه الليل أسيراً:
وهكذا أنتظرك كمنزل وحيد
إذا ما رجعت لتقابليني وتسكنيني
وإذا لم تفعلي، فنوافذي تؤلمني.

# أشعار الكابتن

# الريح في الجزيرة

أصغي لريح حصان:
كم يجري
عبر البحر والسماء.
ولكي يأخذني: أصغي
كم يعبر العالم
ليأخذني إلى البعيد.
خبئيني في ذراعيك،
هذه الليلة المستوحدة،
بينما يجرح المطر،
في البحر، في الأرض،
بلا عدد، فمه.
اسمعي كم تدعوني
الريح وهي تجري
لتأخذني إلى البعيد.
جبينك على جبيني،

فمك على فمي،
جسدنا مقلعان
نحو الحب الذي يلهبنا،
دعي الريح تمر، فلا تحملني.
دعي الريح تبحر متوّجة بالزبد
فلينادني ويبحث عني
جارياً نحو العتمة
بينما أنا غارق في عمق
عينيك الكبيرتين
هذه الليلة المستوحدة،
يرتاح الحب.

# الغصن المسروق

في الليل سندخل
نسرق
غصناً مزهراً.
سنعبر الحائط،
في عتمة بستان شخص آخر،
ظلين في الظلمة،
الشتاء لما ينقض بعد
وسيُخال أن شجرة التفاح
تحولت فجأة
شلالاً من النجوم العطرة.
في الليل سندخل
حتى المدى المرتعش
ويداك الصغيرتان ويداي
ستسرق النجوم.
عندها، خلسة،

عندنا،

في الظل وفي الليل،
سندخل مع قدميك
خطى المطر الصامت
ومع قدميك المكوكبتين
جسد الربيع المضيء.

# مرثاة

## I

ماذا فقدنا، أنا وأنتم
عندما سقط ناظم حكمت كبرج
كما ينهار برج أزرق؟
يبدو لي أحياناً
أن الشمس ذهبت معه الذي كان النهار،
نعم، كان ناظم حكمت نهاراً ذهبياً
يؤدي واجبه أن يولد من جديد كل فجر
برغم القيود والعقوبات
وداعاً، أيها الرفيق المضيء،
سافيتش الحلوة بين سانت باسيل
وبيوت المطار الجديدة،
أو في حي أربات سري أيضاً
متذوقاً نبيذي التشيلي، يسكبه
في جلد الصنبورة للفته
سافيتش، معك ضاعت

النحلة الذهبية

التي خلقت هنا عسل خليتي

يا صديقي العذب، يا رفيقي الشفاف.

## II

آه! كثير من الدماء هنا! كثير من الحروب!

وكثير من الرعب! وكثير من العذوبة

ما الذي تؤاخيه، الأنهر؟ ثلجاً ودماً

المدن، ماذا كانت؟

رماداً ودخاناً. لا شيء آخر.

مع هذا، ثمن حطامها

يقذف الرشاش

يري الأبطال بروقهم.

# حجارة السماء

# I

بحثت عن قطرة ماء
عسل، دم: تحول
كل شيء حجارة
دمعاً أو مطراً، الماء
يجري دائماً في الحجارة:
دماً أو عسلاً أخذا طريقهما
إلى عميق
النهر يُقطع
ضوءه السائل
النبيذ
يسقط في الكأس
ناره الهادئة تشتعل
في كأس الأرض:
الزمن يجري
كنهر مقطع

يواطئ أمواتاً مهيبين،
أشجاراً تجردت
من حفيفها، كل شيء يمشي نحو الصلابة:
الغبار، الخريف، يمضيان
والكتب والأوراق
الماء: وعندها سنرى شمس الحجارة تلمع
على كل الحجارة.

## II

يوم بلا نهاية تغطى بالماء

النار، الدخان، الصمت، الذهب،

المعدن، الرماد والوقت الذي يعبر.. هنا

بقي النهار البلانهاية واقفاً:

الشجرة سقطت هامدة ومفحّمة،

عصر غطاها، وعصر آخر كذلك،

إلى اللحظة التي، وقد تحول كل شيء حجراً ضخماً

غير من الأبدية ومن الورق.

## III

أريد أن يستيقظ

الضوء الأسير هنا :

يا زهرة معدنية، أجيبي

عن فعلي :

الجفون ترفع ستار

الزمن الطويل الكثيف

إلى أن تولد من جديد

هاتان العينان وتريا شفافيتهما .

# IV

يوم بلا نهاية غمره الماء،

النار، الدخان، الصمت، الذهب،

الفضة، الرماد، والزمن الذي يمضي

هنا بقي اليوم منبسطاً بلا نهاية:

الشجرة سقطت هامدة ومفحمة،

قرن غطاها، وقرن آخر أيضاً،

حتى اللحظة التي تحولت حجراً ضخماً

غيرت من أبديتها وورقها

حجر ويتدحرج في قرار الماء أو الجبل

فتاة البركان المستديرة، حماقة

الثلج،

الشكل، غيَّر هابطاً نحو البحر،

غضبه التائه في الدروب

فقدت الصخرة علامتها

المحددة، الهائلة، وعندها

كبيضة من السماء دخلت في النهر،
أكملت تدحرجها بين الحجارة الأخرى
ناسية في نزولها
بعيداً عن الحطام الجهنمي
وهكذا من رقة سماء، حتى البحر
يصل كاملاً، مهزوماً،
مركزاً، علامة
النقاءُ.

## V

الشجرة ها هي في الحجر الصافي
في الحجر الكريم والجمال القاسي
مبنياً لملايين السنوات
عقيق وضوئي
حلت محل النسغ والغابة
وذات يوم جذع العملاقة
رمى النتن الرطب
وذاب فيه بالتوازي تمثال:
الورق الحي
تناثر
وعندما هبطت العمودية،
واحترقت الغابة، غبار النار
الرماد السماوي، حضنتها
حتى اللحظة التي منحها فيها الزمن
جائزة الحجر الشفاف

بهذا الوقت الذي يمحوه ليس محفوظاً:
الأرض من سنوات عدة تحيله على العدم
مهده الفضائي يبعثره
الحجر النظيف يجهل
المسار العابر للدودة.

# VI

لكن الدرس لم يدرك الإنسان:
درس الحجر:
مادته تنهار وتتفكك،
كلمته وصوته تتقطع.
النار، الماء، الشجرة
تزداد قسوة
تبحث وهي تموت عن جسم معدني،
فوجدت درب الاتساع:
جامداً، الحجر يشتعل
وردة جميلة ذات بتلات قاسية.
نفس الإنسان تتدحرج في عمق، المنفعة
بغلافها الهش وفي عروقها
الراقدة تدور
القبل العذبة المفترسة
التي تستنفد وتسكن
البرج الحزين للجسد المدمر.

## VII

الصمت في الحجر
يتركز
الدوائر تغلق عليه
العالم المزلزل
الحروب، الطيور والمنازل،
المدن، القطارات، الغابات،
الموجة تكرر أسئلة البحر،
سفر الفجر المتتابع
تصل كلها إلى الحجر، جذرة السماء
شاهد خارق
حجر الدرب المغبر
يعرف الماء والذين سبقوه
يعرف الماء منذ ولادته:
في الأرض هو كلمتها الخرساء:
يلتزم الصمت لأنه وارث

الصمت السابق، البحر الجامد
والأرض الفارغة.
هنا الحجر سبق الريح
سبق الإنسان وسبق الفجر:
حركته الأولى
كانت موسيقى النهر الأول.

## VIII

عبرت عتبة المغارة ذات الحجارة الكريمة:

تركت دمي في الأشواك البنفسجية:

تحركت، غيّرت ضميري، ومراجعي:

ومنذ ذلك يؤلمني الليلك.

## IX

المربع يدرك البلور

بسقوطه من تناسقه:

وحين يفتح أبواب الأرض

يجد، واضحاً وكاملاً، في الظلمات،

ضوء، هذا النظام الشفاف.

مكعب الملح، والأصابع المثلثية

للصوان: ماء

الجو

# حجارة تشيلي

# ثور

أقدم الثيران عبر النهار.

كانت قوائمه تحفّ الكون.

مشى، مشى حتى المكان الذي رأى فيه البحر.

وصل أقدم الثيران إلى الساحل.

ساحل الزمن، ساحل المحيط.

أغمض عينيه فغطاه العشب.

تنفّس كل المسافة الخضراء.

وكل ما تبقّى بناه الصمت.

# التمثال الأعمى

كان ذلك من ألف مرة
ألف سنة حجارة كنت
قصّاب حجارة
وكانت هذه من إبداعي،
في ذلك الزمن كنت أضرب
بلا يدين
وبلا مطرقة
كنت أنحت
بلا مقص،
وأنظر الشمس بلا عينين.
من دون أن أكون
من دون أن أنوجد في غير الريح،
من دون أي فكرة لدي معرجة،
من دون أي أوراق
سوى الوقت،

الوقت،
الوقت.

وعندها نحتُّ التمثال الأعمى
التمثال الذي ليس في مقدوره أن ينظر
الذي
على الرجل
آسفاً
يديم كتلته الضخمة
التمثال
الأعمى
للإنسان الأول
الذي ولد من الحجارة
ابن القوة
الأول
الذي حفر، لمع، فرض
تكوينه الضائع
وبحث عن النار.
وهكذا ولدت، قطاع حجارة
عارياً وأزرق

على امتداد السواحل المظلمة
الأنهر الباقية في الظل
في عمق مغاور يسوطها ذيل
العظائيات الكالحة
وكلفني ذلك أن أكون
أن أصير
يدين، نظرة، أصابع وأن أبحث
عن دمي الخاص
وعندها فرحي كتمثال
تحوّل
عندما سئمت شكلي
يضرب على الحجارة عبر القرون.

# سأعود

في يوم ما - أيها المسافر - رجلاً كنت أم امرأة -
فيما بعد، عندما لا أعود حياً،
ابحث، ابحث عني
بين الحجارة والمحيط،
في ضوء الزبد
العاصف..
ابحث هنا، ابحث عني
لأنني سأعود إلى هناك من دون أن أقول شيئاً،
بلا صوت، بلا فم، صافياً
سأعود إلى هنا وأكون حركة
الماء، قلبه
المتوحش،
وسأكون هنا تائهاً ومستعاداً
هنا قد أكون حجارة وصمتاً.

# إلى الريح على الحجارة

على الصخرة العارية
وفي الشعر
ريح
من الحجارة والموج.
كل شيء تحرك على مدار الساعات.
كان الملح من ضوء مالح،
البحر أنعش
غيومه
السماء دفقت من كل علوها الزبد الأخضر:
كزهرة
مسمَّرة
على رمح ذهب
النهار يلتهب:
كل شيء
جرس، كأس،

فراغ يصعد
قلب شفاف
حجارة
وماء.

# الإقامة في الأرض

# ما من نسيان

إن سألتموني أين كنت
فعليَّ أن أقول «يحدث أن».
عليَّ أن أتكلم عن الأرض التي تسوّدها الحجارة،
عن الفن الذي يتدمر وهو يطول:
لا أعرف ما إذا كانت الأشياء هي التي تفقدها العصافير،
البحر متروكاً في الخلف، أو أختي التي تبكي
لَمَ مَد هذه االمناطق؟ لمَ ينضم يوم
إلى يوم؟ لمَ ليل أسود
يتكدس في الفم؟ لمَ الموتى؟
إن سألتموني من أين أجيء، فعليَّ أن أتكلم
مع الأشياء المكسورة
مع الأواني الشديدة المرارة،
مع الوحوش المنتنة غالباً
ومع قلبي المعذب.
ليس الذكريات هي التي تلاقت

ولا الحماقة المصفرة التي تنام في النسيان
وإنما وجوه بدموع
أصابع في الحنجرة،
وما يتساقط من الأوراق:
عتمة يوم مضى،
يوم تغذى بدمنا الحزين.

ها البنفسجات، الحمامات،
كل ما نحب ويظن
على بطاقات على ذنب طويل
حيث يتنزه الزمن والألم.
لكن لا تدخلنّ أبعد من الأسنان،
لا مُغضنَّ الجذوع التي قد يكدسها الصمت،
لأني لا أملك جواباً:
هناك كثير من الموتى،
كثير من المرميين الذي تخترقهم الشمس،
كثير من الرؤوس التي تضربها المراكب،
كثير من الأيدي التي حبست قبلات
كثير من الأشياء التي أريد نسيانها.

# النشيد العام

# فلينهض الحطّاب

## I

وإذا سلمت حشودك يا أميركا الشمالية
لتدمير هذه الحدود النقية،
والإتيان بجلّاد شيكاغو
ليحكم الموسيقى والنظام
الذي نحب
سنخرج من الحجارة والهواء
لننهشك،
سنخرج من النافذة الأخيرة
لنسكب عليك النار
سنخرج من الأمواج الأعمق
لنسمّرك بالشوك
سنخرج من الأثلام لكي نضرب
الموسم كقبضة كولومبية،
سنخرج لكي نمنع عنك الخبز والماء
سنخرج لنحرقك في الجحيم.

# كتاب القصائد الثالث

# قصيدة إلى البيت المهجور

أيها البيت، وداعاً!
لا
أستطيع أن أقول لك
عندما سنعود
غداً أو بعد غد
ربما بعد وربما بعد أكثر.

سفر آخر، لكن
هذه المرة
أريد أن
أقول لك
كم نحب
قلبك الحجر:
ما أكرمك
بنارك
المشتعلة

في المطبخ
وسقفك
حيث يسقط
يقطر
المطر
كأنما تسقط
الموسيقى من السماء.

هنا،
أغلقنا
نوافذك
واصفين
ليلة بكرة
قامت
في الغرفة.

معتماً
تبقى حياً
بينما يعبرُك الوقت
والرطوبة شيئاً فشيئاً تستنفد نفسك.

أحياناً

فأر

يقرض، فتُحدث الأوراق

وشوشة

مختنقة

حشرة

ضائعة

تصطدم

عمياء، بالحيطان

وعندما

تمطر في الوحدة

أحياناً

قطرة

بنغم

صوت إنساني

كأنما كان هناك

من يبكي.

ليس سوى الظل

لنعرف

أسرار
المنازل المغلقة
والريح المدفوعة
وعلى السطح القمر الذي يزهر.

والآن وداعاً
أيتها النافذة
والباب، والنار
والماء الذي يغلي، والجدار!
ودائماً، ودائماً
أيها المطبخ
حتى عودتنا
ولتتحرك من جديد ساعة الحائط
فوق الباب
بقلبها القديم
وسهميها اللامجديين
المسجلة
في الزمن

(١٩٥٦)

# قصيدة إلى العُمر

لا أؤمن بالعُمر
كل المسنّين
يحملون
في عيونهم
طفلاً،
والأطفال
أحياناً
ينظرون إلينا
كمسنّين عميقين.

أنقيس
الحياة
بالأمتار أو بالكيلومترات
أو بالأشهر؟
ومنذ ولدت؟

وكل ما عليك
أن تعبره
حتى
كالآخرين
وبدلاً أن نمشي فوقها
نتنفس تحت الأرض.

من الرجل، المرأة
اللذين حققا
أعمالاً، خيراً، قوة،
غضباً، حباً، حناناً
من الأحياء فكل
الذين انضروا
وفي طبيعتهم نضجوا
لا تقتربنّ، نحن
قياس
الزمن
والذين ربما
شيء آخر، طبقة
معدن، عصفور كوني

زهرة،
ربما شيء آخر
ولكن ليس قياساً
زمناً، أو معدناً
أو عصفوراً، زهرة
بعنق طويل كنت
أتمدد على طول الناس
أزهر لهم
واغسلْهم
بمياه مفتوحة
أو بشمس مختبئة.

أعلنك
درباً
لا كفناً
سلماً
صافياً
بدرجات
من هواء
بدلة جددت

بإخلاص
من أجل فصول
الربيع الطولية

الآن
ألفّك أيها الوقت
أضعك في علبة غابية
وأذهب لأصطاد
بصنارة طويلة
أسماك الفجر.

# قصيدة إلى كتاب صُوَر

كتاب صور خالص.

فراشات،

سُفن،

أشكال البحر، تويجات

عيون قاتمة، رطبة

مستديرة كحبات العنب،

كتاب

أملس

مثل

سمكة

منزلقة

كتاب!

بألف

حرشفة

كل صفحة

تعدو

كعدّاء

يبحث عن أشياء قديمة

عن أزهار

منسية!

صفحات أخرى هي

نار أو قرنفل

أغصان حمر من الحجارة

تشتعل

بياقوتة سرية

حيث تكتشف لنا

الثلج

حمامات

النروج

محارية الندى المضيئة.

كيف

جمعت

على ورقك

هذه الجمالات الكثيرة

هذه

الاكتشافات

اللانهائية؟

كيف لضوء

الفراشة

إن ومض

فيك الضوء الذي لا يدرك

للفراشة

وسكانها

من يسروعاتها الفوسفورية

ومع في الوقت ذاته

هذه القاطرة

الناعمة

التي تعبر الحقول

كثور

صغير ثائر

وقاس

وكثير

من نبات الشمس المتنائية،

ونحل أنيق

أفاعٍ بحرية

وجمال

فائقة؟

عالم السحر!

لولب شَرِهِ

أو شَعر

من

كل الدروب

قاموس

الهواء

كتاب

مليء بالتعبدات المنجّمة،

بالمرؤات

بقاع وثمر

أين كنز

مبحِر على كنزي

رمانة

مفروطة

كتاب

تائه.

# قصيدة إلى التفاحة

أيتها التفاحة، أريد
أن أحتفل بك
بملء
فمي
باسمك
وأنا آكلك.
دائماً
أنت جديدة كما لا شيء
كما لا أحد
دائماً
من قدك
من الفردوس:
مليئة
نقية
خد مفعل
بالفجر.

كم تكون
على غير راحة
تلك التي تقارن
بك
العنب الخلوي
المانغا
المعتمة
الإجاص العظمي.
التين
البحري:
أنت تفاحة خالصة
خبز مُطَيَّب
جبنة
النبات
عندما نقضم
في براءاتك المستديرة
من جديد
وللحظة
نحن أطفال مولودون:
ما زال عندنا شيء من التفاحة.

أريد تدفقاً
شاملاً، تكاثر
سلالتك
أريد
مدينة
جمهورية
نهر ميسسيبي
من التفاح
وعلى ضفافك
أريد أن أرى
سكان
الأرض
موحدين، موحدين من جديد
الفعل الأبسط على الأرض:
قضم تفاحة.

(١٩٧٦)

# قصيدة آلامي

ربما أراد
شخص ما
أو أشخاص
معرفة
شيء عني.
حرّمت على نفسي
التكلم عن آلامي
فتياً ما زلت، وعجوزاً تقريباً
ومتابعاً دربي
لا أستطيع
من دون
أشواك
أن أكلّل
قلبي

الذي عمل

كثيراً

وعينيّ

اللتين استغلتا الحزن

وعادتا بلا دموع

من الأسفار

والجُزر.

أريد أن أروي لكم

كيف ولدتُ

الناس، أصدقائي

كانوا يحبون العزلة، الهواء

الأبعد،

الأمواج ذات الصفارات.

عدتُ

من

الأرخبيلات

عدتُ

من الياسمين،

من الصحراء
لأكون
لأكون
لأكون
مع كائنات أخرى
وعندما، لم أكن
ظلاً ولا هارباً
بل بشرياً، تلقيت تكاليف
القلب البشري،
حَصَى الحسد الخؤون
العبودية الجاحدة لكل يوم

عد أيها السيد تهمس
من أبعد إلى أبعد الصفارات:
تسوط الزبد
وتقطع من أذياله
الفِضِّية
الشفافية

بحر
الذكريات
أصداف وضوء مبللة
كثمار توأمة
تحت ضوء القمر المخمور
آه! اغمض عيني:
همس السماء يقول وداعاً:
اذهب إلى بابي لا تلقى الأشواك.

# سيف اللهب

# I

رودو المحارب كان قد هاجر
من عمق الرمال اللامتناهية للصحراء الكبرى:
كان عاش عصر الرماح الخضر، صاعقة
الخيول، اتجاه البرق.
الرعب جعل من الدم رايته
الموت غطّاه بجداره كما
يغطي الليل الأرض
عندها قرر أن ينذر نفسه للصمت،
إلى الغور المجهول،
وبحث عن أرضٍ لمملكة جديدة،
بحث عن مياه زرق ليغسل بها الدم.
حيث تنتهي التشيلي ينكسر الكوكب:
البحر والنار، علم الأمواج،
صدمات البركان، مطرقة الريح،

العاصفة القاسية جداً وغضبها الحاسم
قطعا الأرض والمياه: جزر من فوسفور
كبرت، نجوم خضر، أقنية مدعوة،
عناقيد غابات، استعراضات صاخبة
ففي هذا العالم ذي العطر البارد.
أسس رودو مملكته.

# II

آه يا رفيقتي! قال سيد الغابات
لماذا نعرف أننا عاريان؟
كل الثمار كانت ملكنا
عندما علمت البراكين السبعة
أنني لا أستطيع العيش من دون عينيك،
وأنني بلا جسدك أحتضر
وأنني أشعر بالضياع في حضورك.
والآن القلعة بلا جدران،
شلالات الملح، قمر السرو،
الغابة، الجذور الغضوب، صمت،
الجذوع الضخمة المنجمة، العزلة الفارغة،
تلك التي سعيت إليها وعليها، المملكة العاصفة،
المُرة، المؤسسة من الشمس والمطر،
وتماثيل الماضي الميتة

وحفيف الريح بين منحل الشجرة،
الكثافة التي يخترقها غناء شيكو،
كضحكة، كنشيج، هبوب أو هروب،
وثلوج جبال رالون، حيث يبدأ
الأرخبيل الرهيب وأجراسه الصقيع،
آه يا رفيقتي، حوائي- الوردة، وردتي -الزهرة -
تتركني بما أننا نعرف،
أنها غابة شجرة الحياة، عنقود
كل نبات، تقل الثمرة البريّة
غذيانا فجأة، بقينا عاريين،
عاريين حتى الموت حباً، الموت ألماً.

# III

ماذا جرى على الأرض؟
هذا الرجل أكان الأخير أم الأول؟
في منطقة من الشقاء والسعادة؟
ولِمَ تأسيس الإنسانية من جديد؟
لماذا كانت تقفز الشمس من غصن إلى غصن
إلى درجة تأخذ فيها حنجرة عصفور لكي تغنّي؟
ماذا عساني أفعل؟ قالت الريح.
لِمَ تحولت ذهباً؟
قال القمح، نعم، ما نفع الوصول
إلى الخبز إذا لم يعد ثمة أيدٍ ولا أفواه:
الفراغ الأرضي ينتظر
خارج الإنسان أو داخله:
كل الحروب قتلتنا حتى آخر واحد فينا،
لم ينجُ أبداً أي حي.
منذ الحرب الأولى

بالحجر، وبعدها
بالسكين وبالنار
لم ينجُ أحد:
أراد الموت أن يكرر عنصره
باختراع بشر جدد مخادعين
بشر، يبدأون الآن بالإثم
بالتقاتل- وبقتلنا.
قابيل وهابيل غالباً ما سقطا
(قتلا مليون مرة)
(مليون فك وبلوى)
قتلا بالمسدس والخنجر،
بالسم والقنبلة،
أخذا بالجريمة ذاتها
وفي كل مرة كانا ينثران كل دمهما.
لا أحد كان يستطيع أن يعيش
لأن المقتول كان مذنباً
لكون أخيه هو القاتل
وأن القاتل قد مات:
مات هذا المحارب الأول
لأنه قتل أخاه.

## IV

رودو، مخلّفاً وراءه ما يسمى ماضياً،
كفّ عن أن يكون شريكاً في الجريمة، جريمة،
شريكاً في ما ارتكب أم لم يرتكب، شريك
الآخرين، كل الآخرين،
وعندما رأى نفسه مضرجاً بالدم.
الدم البعيد أو القديم أو الحاضر أو الآتي،
كاسراً الزمن، وصل إلى قدره،
صار من جديد الإنسان الأول من دون نفس ملوثة بالدم،
لم يهرب: كان الأمر أبسط من ذلك:
صار الإنسان الأول من جديد وحيداً:
ما عاد أحد يريده هذه المرة:
الشوارع المظلمة تنبذه،
القصور الفارغة،
لم يعد في وسعه الدخول إلى المدن لأن الجميع هجرها
لم يعد أحد في حاجة إليه، كلا، لا أحد، لا أحد!

لم يعد يعرف كثيراً إن كان ما يتبقى
في الأفران طحيناً أم رماداً
إن كان ما يتبقى سمكاً أم أفاعيَ
في السوق بعد ذلك الحريق،
وإذا ما كانت الهياكل العظمية المنسية في الحفرة
مجرد فحم أو جنوداً مفحمة.

# الوردة المنفصلة

# الناس

نرى أننا وُلدنا لنصغي إلى أنفسنا ولننظر
إلى أنفسنا،
لنقيس أنفسنا (كم نقفز؟ كم نجني؟ نجني كذا وكذا)،
لنجهل أنفسنا (مبتسمين)، لنكذب على أنفسنا،
أننا وُلدنا للاتفاق، اللامبالاة أو لنأكل
والرفقة.
ولكن من دون لأحد أن يُرينا الأرض،
اكتسبنا
النسيان، نسيان أحلام الريح،
لم يتبق لنا سوى قليل من
مذاق الدم والتراب
على اللسان: نبتلع الذكرى
في النبيذ والبيرة، بعيداً، بعيداً من ذلك
بعيداً من ذلك الطابع
الأرض الحياة.

# الناس

العابر، المسافر، الرضيّ
يعودون إلى عجلاتهم، يوافُون طائراتهم
انتهى الصمت، مهيباً، وعليهم أن يخلّفوا
وراءهم العزلة الشفافة
المصنوعة من الريح الرائقة والماء،
ومن العشب القاسي والصافي،
وللهروب، الهروب من الملح، الخطر،
الدائرة المتوحدة على البحر
حيث عيون الموج الفارغة،
الفقرات، جفون التماثيل السوداء.
نهشت البورجوازي المذعور، رجل المدينة:
رفقاً، يا جزيرة الفصح، لا تسعي إلى خطفي،
ضوؤك بالغ القوة وأنت بعيدة،
بكثير من الحجارة وبكثير من الماء:
هذا كثير عليّ! فلنرحل!

# الناس

أنا، رجل الغابات والقطارات الشتائية،
أنا حافظ الفصل القاسي
الوحل،
في شارع مستنفد، بائس،
أنا الشاعر الغامض، تلقيت قبلة الحجر
على جبيني
فشعرت بهواجسي تتطهر.

# الجزيرة

أيتها المحبوبة، محبوبتي، المنفصلة
مرات بالبحر، الثلج والمسافة،
ملمومة وسرية، محاطة
بالأبدية، شكراً
ليس فقط من أجل نظرتك كصبية،
من أجل بياضك الخَبيء، وردة سرية، ولكن
من أجل الإشعاع المنوي للتماثيل،
من أجل هذه الدعة المهملة
المفروضة على يديّ:
من أجل النهار الجامد في حنجرتي.

# وهذا الآخر

من فرط ما مشيت في هذه البلاد
التي لم ترد في الكتب
اعتدتُ الأراضي العنيدة:
ولم أسأل إطلاقاً ما إذا
أحب حقاً الخس
أو إذا كنت أفضل النعناع
التي يفترسها الفيلة.
ومن فرط ما أنكرت أجوبتي
صار قلبي كله أصفر.

# تفسيرات

بعد كل شيء، أريد أن أحبك
كما كان دائماً قبل
كأنما، من كثرة الانتظار،
من دون أن أراك، من دون أن تصلي
كنت باستمرار
تتنفسين، هنا، قربي.

قربي، بعاداتك،
بلونك، بغيتارك،
كما تتجاور البلدان
في دروس التلامذة
حيث يختلط ريفان
حيث يحاذي نهر نهراً آخر
حيث يكبر بركانان معاً.
قربك، نعم، يعني قربي

وأبعد من كل شيء غيابك،
والقمر بلون الفخار
وفي الليل، عندما تزلزل الأرض
عندما وفي رُعب الأرض
تجتمع كل الجذور
والمعادن تلمع
بين كأسي النفس.

لم أرَ هراً في هذه الأمكنة.
في الواقع، لم يكن عندي أبداً
للنوم رفقة أخرى
سوى الرَّمل في الليل الهابط
مناسبات الصحراء
أو نجوم السماء.
لأنها ها هي أو ليست هي
تحقيقاتي الفقيرة.

# لغز للمعذبين

في يوم من أيام السنة المقبلة
سأجد ساعة مختلفة:
ساعة بشعر الشلال
ساعة لم تنقضِ بعد أبداً:
كأنما الزمن، منكسراً،
يفتح نافذة: ثغراً
نتسرب منه إلى العمق.

طيب، هذا اليوم وفي هذه الساعة
سيصل ويجعل كل شيء متغيراً:
لن نعود نعرف إذا الأمس مضى
أو ما يعود لم ينقضِ أبداً.
عندما من هذا المينا تسقط ساعة
أرضاً، من دون أن يلمها أحدٌ ما،
عندما، في النهاية، نمتلك الوقت المكبل

سنعرف حقاً أين تبدأ
أو أيضاً أين تنتهي الأقدار.
ذلك لأن في القطعة الميتة أو ببساطة المطفأة
سنرى بوضوح مادة الساعات
كما نرى بوضوح قائمة الحشرة.
وسنمتلك قدرة شيطانية:
التراجع في الزمن أو تفعيل الساعات،
الصورة إلى الولادة أو موافاة الموت
بمحرك يعصى سرياً على اللانهائي.

# الفهرس


مكتبة
t.me/soramnqraa




# هذا الكتاب

ما زال شعر بابلو نيرودا يحتفظ بقوّته ونضارته بعد زوال مختلف الظروف التي ساهمت في تغذيته وشحنه، فإنه يبدو الآن أكثر حضوراً مما كان في تلك المرحلة. ذلك أن الهالات السياسية التي كانت تغلف هذا الشعر وتحجب طاقته الهائلة وتقننه وتوجهه توجهاً «أحادياً» (أي توجهاً أيديولوجياً بالدرجة الأولى) عبر الأدوار التي لعبتها الأحزاب والتنظيمات السياسية، (لأهداف أحياناً دعائية) قد تبددت، لتترك الشعر وحيداً بحياته الخاصة. بقيمته النسبية. وهذا تحديداً ما شعرتُ به، وأنا أراجع دواوينه: من كتاباته الأولى في العشرينيات وحتى كتاباته الأخيرة في السبعينيات أي قبل وفاته، وما صدر بعد رحيله.

**بول شاوول**

الغلاف: سكينة صلوّن


ISBN 978-9922220130

